فلما آنست من تَناهي فاقَةِ الأفاضل إلى استكشافِ غوامِضه والغَوْص على مُشكِلاتِه ولا سيّما من انتدب منهم لتدريس علم غريب الحديث وإقراء الكُتب الكبار من قوانين العربية في القديم والحديث فَناط به الرغبةَ كلُّ طالب وعشا ضوءَ نارِه كلُّ مُقتبِس ووجّه إليه النُّجعةَ كلُّ رائدِ وكم يتلقّاك في هذا العصرِ الذي قَرِعَ فيه فِناءُ الأدب وصَفر إناءه اللهم إلاّ عن صَرِمَة لا يُسْئِر منها القابِض وصُبابة لا تَفْضُل عن المُتبرِّض من دَهْماءِ المنتحلين بما لم يُحسنوه المتشبِّعين بما لم يَملِكوه من لو رجعْتَ إليه في كَشْفِ إبهام مُعضِلةٍ لَفتَلَ أصابِعه شَزْراً ولاحمرَّت ديباجَتاه تَشرُّراً أو تَوقَّح فأساءَ جابةً فافتضح وتكشف عَواره قرَعْتُ ظُنبوب اجتهادي واستعَيْتُ يَعْبوب اعتنائي في وضع شرحٍ عليه ممزوجِ العبارة جامعٍ لموادّه بالتصريح في بعضٍ وفي البعض بالإشارة وافٍ ببيان ما اختلَف من نُسخه والتصويب لما صحّ منها من صحيح الأُصول حاوٍ لذِكْر نُكَتِه ونوادرِه والكشفِ عن معانيه والإنباه عن مَضارِبه ومآخذه بصريح النُّقول والتقاطِ أبياتِ الشواهد له مستمدّاً ذلك من الكتب التي يَسَّر ا تعالى بفضلِه وُقُوفي عليها وحَصل الاستمدادُ عليه منها ونقلْتُ بالمباشرة لا بالوسائط عنها لكن على نُقصانٍ في بعضها نقصاً متفاوتاً بالنسبة إلى القلة والكثرة وأرجو منه سبحانه الزيادةَ عليها .

فأوّل هذه المصنفات وأعلاها عند ذَوي البراعة وأغلاها كتابُ الصحاح للإمام الحجة أبي نصر الجوهري وهو عندي في ثَماني مجلداتٍ بخط ياقوت الرومي وعلى هوامشه التقييدات النافعة لأبي محمد بن بَرّيّ وأبي زكريا التّبريزيّ ظفرت به في خِزانة الأمير أَزبك . والتهذيب للإمام أبي منصور الأزهريّ في ستة عشر مجلداً . والمُحكم لابن سيده في ثمان مجلّدات . وتهذيب الأبنية والأفعال لأبي القاسم ابن القطاع في مجلدين .

ولسان العرب للإمام جمال الدين محمد بن مُكرّم بن عليٍّ الإفريقي ثمان وعشرون مجلداً وهي النسخة المنقولة من مُسَوَّدة المصنف في حياته التزم فيه الصحاح والتهذيب والمحكم والنهاية وحواشي ابن بَرّيّ والجمهرة لابن دريد . وقد حدّث عنه الحافظانِ الذهبيُّ والسُّبكيُّ ولد سنة 630 وتوفي سنة 711 .

وتهذيب التهذيب لأبي الثناء محمود ابن أبي بكر بن حامد التّنوخيِّ الأرْمَوِيّ الدِّمشقيّ الشافعيّ في خمس مجلدات وهي مسوّدة المصنف من وقف السميساطية بدمشق ظفرت بها خِزانة الأشرف بالعبرانيين التزم فيه : الصحاح والتهذيب والمحكم مع غاية التحرير

والضبط المُحكم وقد حدّث عنه الحافظ الذهبيّ ُ وترجمه في مُعجم شُيوخه ولد سنة 647 وتوفي سنة 723 .

وكتاب الغَريبين لأبي عُبيد الهَرَويّ . والنهاية في غَريب الحديث لابن الأثير الجَزريّ . وكفاية المتحفّظ لابن الأجدابيّ وشروحها . وفصيح ثعلب وشروحه الثلاثة : لأبي جعفر اللبليّ وابن درستويه والتدميري . وفقه اللغة والمضاف والمنسوب كلاهما لأبي منصور الثعالبي . والعباب والتكملة على الصحاح كلاهما للرضيّ الصاغانيّ ظفرت بهما في خزانة الأمير صرغتمش . والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير . والتقريب لولده المعروف بابن خطيب الدّ َهْشة . ومختار الصحاح للرازيّ . والأساس والفائق والمستقصَى في الأمثال الثلاثة للزمخشريّ . والجمهرة لابن دريد في أربع مجلدات ظفرت بها في خِزانة المؤيّد